بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله يحيي قلوب عباده بطاعته، ويضيء عقولهم بنور كتابه، دعا الناس إلىٰ الإيمان به، ونصب لهم آيات وحدانيته، ودلائل ألوهيته وأرشدهم إلىٰ أنه واجب الوجود بما منحهم من نظر ثاقب، وفكر عميق مستنير ناقد، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين بلّغ الرسالة وأدىٰ الأمانة.

وبعد..

فإن الأمم تقاس رفعة وانخفاضاً بمقوماتها الفكرية وقيمتها الأخلاقية وإنجازاتها العلمية، وقد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم في بناء الأمة الإسلامية وترسيخ عظمتها، وتوطيد سلطانها، واستمرار عطائها، ولست مبالغاً إذا قلت إنّ الثقافة الإسلامية أوجدت خير أُمة أخرجت للناس، تميزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأخلاقها وأهدافها، وبناءً علىٰ ذلك اخترت الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي (أحمد بن الحسين) أمير الشعر العربي حقاً، إنه شاعر فريد في فنه وفكره وصراعه وقبل وبعد برؤيته ورؤياه.

إنه صاحب أروع كلمة في اللغة العربية، شعره مترع بالأفكار والقيم، ومستودع لآراء الناس في عصره، لأنه لم يحصر نفسه في دائرة ضيقة تضم إخواناً له وندامىٰ في الكأس، ولم يكن مجرد بوق لغيره، بل ذاق الحياة في أيامه بكل جوانبها، وحاول أن يقف علىٰ قدميه وسط عمالقتها.

لقد انشغل جمهور من الشراح والدارسين والباحثين والمؤرخين في الشاعر الأشهر المتنبي، كل ذلك لأنه شاعر عظيم، وفحل من فحول الأدب العربي، ولولا

ذلك ما حمل هذا العدد الهائل من الدارسين علىٰ تتبع أدبه ودراسة ديوانه، إن هذا العدد الهائل من الدارسين لم ولن يتناول الشاعر من زاوية واحدة، وبروح واحدة ومزاج واحد بل لكل واحد منهم زاويته التي يجيد النظر منها في أدب هذا الشاعر.

ما من شاعر عربي أثار ـ كالمتنبي ـ جدلاً عنيفاً، وما من أحد غيره علىٰ الأخص دفع إلىٰ تأليف قدر كبير من الكتب.

لقد تشكلت في حياة المتنبي حلقات من المعجبين في حلب والفسطاط، وبغداد وشيراز حيث كان يُقرأ فيها ديوانه، ولم يضع موت المتنبي حداً في بغداد للخصومة التي كان يضمرها العديد من الكتاب والشعراء والعلماء للرجل وأعماله الشعرية، وقد تجلّىٰ هذا العداء أحياناً في الصمت كما يبدو صنيع أبي الفرج الأصبهاني المعاصر له والمتوفى سنة ٣٥٦هـ الذي لم يذكر الشاعر المتنبي مرة واحدة في كتابه الكبير «الأغاني» وكذلك صنع المرزباني المتوفى سنة ٣٨٣هـ الذي لم يشر في كتابه «الموشح في مآخذ العلماء علىٰ الشعراء» إلىٰ المتنبي لا في خير ولا في شر.

إن أبا الطيب من فحول الشعراء العرب ولكن لم يتعرض أحد من القدماء أو المحدثين إلىٰ مثل هذا الموضوع (الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي) ذلك أنّ الشاعر اتهم بعقيدته حيث اتهم بالتنبؤ مرة وبالقرمطة ثانية وبشاعر القومية العربية ثالثة. لذلك كان لا بد لمن يختار مثل هذا الموضوع أن يوضح حقيقة ما اتُهم به الشاعر، ويثبت أن الشاعر شخصية إسلامية حقّة، وفي شعره ملامح إسلامية تدل علىٰ صحة عقيدته.

إن الإسلام يكوّن الشخصية الإسلامية بالعقيدة الإسلامية حيث فيها تتكون عقليته وبها تتكون نفسيته، فالعقلية الإسلامية هي التي تفكر علىٰ أساس الإسلام، أي تجعل الإسلام وحده المقياس العام للأفكار عن الحياة.

إن الإسلام أمر بالاستزادة من الثقافة الإسلامية لتنمو عقلية ذلك الإنسان وتصبح قادرة علىٰ قياس كل فكر من الأفكار، فالحكم علىٰ الإنسان بأنه شخصية

إسلامية جعله الإسلام أساساً لتفكيره وأساساً لميوله، ومن هنا يأتي تفاوت الشخصيات الإسلامية، وتفاوت العقليات والنفسيات الإسلامية.

لذلك يخطىء أولئك الذين يتصورون الشخصية الإسلامية بأنها ملاك، وضرر هؤلاء في المجتمع كبير وعظيم، لأنهم يبحثون عن الملاك فلا يجدونه في أنفسهم فييأسون وينفضون أيديهم من المسلمين، وهؤلاء الخياليون إنما يبرهنون أن الإسلام خيالي.

إن المسلم حين تتهيأ له العقلية والنفسية الإسلامية يصبح مؤهلاً للجندية والقيادة في آن واحد جامعاً بين الرحمة والشدة والزهد والنعيم، يفهم الحياة فَهْماً صحيحاً وتراه حتىٰ يكون بطل الجهاد يكون حليف محراب، وتراه يجمع بين الأمارة والفقه وأسمىٰ صفة من صفات الشخصية الإسلامية أنه عبد الله تعالىٰ خالقه وبارئه.

وقد وصف الله هذه الشخصية في القرآن الكريم حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤]، وقال أيضاً: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهنا لا بد لي أن أسأل هذا السؤال: هل كان أبو الطيب شخصية إسلامية في شعره؟ وللإجابة عن هذا السؤال أقول: إن أبا الطيب لم يُتّهم بإلحاد أو زندقة إذا استثنينا ما اتهم به في أول حياته من ادعاء النبوة تلك التهمة التي لفقها له الحاسدون والحاقدون فدخل السجن بسببها. ولذلك تراه حين يذكر ما اتهم به يقول العدوان علىٰ العالمين، وهذه عبارة غامضة لا توحي بشيء من التنبؤ، بل توحي بالعصيان وإثارة الفتن والقلاقل: اسمعه يقول:

وقيلَ عدَوت علىٰ العالمين بيْن ولادى وبين القُعُودِ[1]

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٤٦.

أي أنهم اتهموه بالعدوان علىٰ العالمين في حالة الطفولة قبل أن يستطيع القعود ومن هنا علىٰ الإنسان أن يلاحظ نوع التهمة، فهي في الخروج علىٰ السلطان ولو كانت ادعاء النبوة لما قال عدوت علىٰ العالمين، ويقول إن الذين وشَوْا به هم سفلة الناس فشهادتهم مرفوضة لعدم تورعهم علىٰ الكذب.

فمـــالَـــكَ تَقْبَـــلُ زورَ الكـــلامِ وقَـــدْرُ الشَّهـــادة قَـــدْرُ الشُّهـــودِ
فـــلا تَسْمَعَـــنَّ مـــن الكـــاشحيـــن ولا تَعْبـــأَنَّ بمَحْـــكِ اليهـــود[1]

ويهيب الشاعر بالحاكم أن يقرن بين إرادة الفعل والفعل، فربما يكون قد وصله أنه رغب وأراد ولكنه لم يصله عنه أنه فعل، لذلك فهو بريء، وأن التنبؤ جريمة وكفر عند المسلمين.

وكـــن فـــارِقـــاً بَيْـــنَ دَعْـــوىٰ أردْتُ ودَعـــوىٰ فَعَلْـــتُ بِشـــأوٍ بعيـــد[2]

وحين يحتاج الشاعر إلىٰ العفو مهما كانت جريمته لا يشبه نفسه علىٰ فرض إقدامه علىٰ ما اتهم به بمدعي النبوة المعروفين في التاريخ الإسلامي كمسيلمة وسجاح، بل يُعدّ رمز الجريمة أحمر ثمود، وأحمر ثمود لم يدع النبوة وإنما أنكر نبوة صالح وعقر الناقة.

وفـي جُـودِ كَفّيْـك مـا جُـدْتَ لـي بنَفْسـي ولـو كُنـتُ أشْقـىٰ ثمـود[3]

فادعاء النبوة تهمة رماه بها أعداؤه لمّا رأوا تعاليه عليهم وهو منها بريء.

أما القرمطة فقد نسبها إليه المستشرقون وأول من أحدث هذه الخرافة بلاشير، وقيد قوله في دائرة المعارف الإسلامية، ثم في كتابه عن أبي الطيب، وتلقف هذه المستشرقون، وجاء من بعدهم أبواق دعايتهم فاتهموه بها، والمتنبي بريء من ذلك، لأننا لو دققنا النظر في شعره لما وجدنا فيه شيئاً من أصول دعوة القرامطة.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١ ص٣٤٧.
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص٣٤٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٤٧.

فأين الشعر الذي يمجد أئمة الدعوة؟ أين التغني بدعاتها من أمثال عبد الله بن ميمون القداح، و(حمدان قرمط)، و(أبي طاهر الجنابي)؟

وإذا كان المتنبي ترك ذلك تقية وستراً، فأين الشعر الذي يشتم فيه توجيه المسلمين إلىٰ نبذ معتقداتهم والاستخفاف بمقدساتهم التي نبذها القرامطة ومرغوها في التراب؟ أين الشعر الذي يروج لمذهب القرامطة ويحث علىٰ مبادئهم ويتغنىٰ بآرائهم؟ لم نجد شيئاً من ذلك في ديوانه، وكل ما وجدناه دعوة إلىٰ سفك الدم مع أنها قد تكون دعوة إلىٰ سفك دم القرامطة، أو دماء الجند والسلاطين الذين ما استطاعوا أن يردوا القرامطة عن الكوفة ملهىٰ طفولته، علىٰ أننا لم نجد من خصومه الأولين وما أكثرهم عدداً وأسلطهم لساناً، وأسرعهم إلىٰ الثلم والعيب مَنْ تعرض لهذه الناحية، ولقد كان مجالاً فسيحاً لغمزه والقضاء عليه، وكلنا يعرف مدىٰ تعصب المتنبي للعرب تعصباً أنساه نفسه بحضرة ابن العميد حين قال له: (مالي وللديلم). ثم إن سنّ المتنبي إبان ثورة القرامطة كانت تسع سنوات، وهي سن لا تسمح لنا أن نخلع عليه صفة الدعاة كدعوة خطيرة تحتاج إلىٰ اللباقة، وبراعة الحجة، وقوة العارضة وإلىٰ مزيد من الكيد والمكر.

أما أنه شاعر القومية العربية كما يقول مارون عبود، وحنا الفاخوري فهذا كلام عار من الصحة حيث لم تعرف القومية العربية في زمانه، وإنما عرفت في العصر الحديث، فالمتنبي كان مسلماً في المقام الأول لأن جميع البلاد الإسلامية كانت تعيش في أخوة الإسلام، وكانت عصبياتهم لا تطغىٰ علىٰ هذه الأخوة كما لم يقصد بالعروبة الانفصال عن جسم الخلافة الإسلامية، فالعروبة عنده دائرة فرعية ضمن الدائرة الإسلامية الكبرىٰ، وشاعرنا كان من دعاة الوحدة لا من دعاة التجزئة، وكان ضد الشعوبية، اسمع قوله من قصيدة يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية:

إمـــام لـــلأئمـــة مِـــنْ قُـــرَيْـــشٍ إلـــىٰ مَـــنْ يتَّقـــونَ لـــه شِقـــاقـــا[1]

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ٢/٢٩٨.

وقوله من قصيدة يمدح سيف الدولة بعد معركة الحدث:

ولســـت مليكـــاً هـــازمـــاً لنظيـــره ولكنـك التـوحيـد للشـرك هـازم[1]

هنيئاً بضـرب الهـام والمجـد والعـلا وراجيـك والإسـلام أنـك سـالـم[2]

إن دراستي لديوان هذا الشاعر تثبت إسلام هذا الرجل، وبأنه قوي الإيمان عميق النظرة في عقيدته، فاهمٌ لدقائق شريعته، ومن حسن حظ شاعرنا أنّ أحداً من دارسيه لم ينكر عليه الركن الأول من أركان الإسلام ولم تبرز عنه بادرة إنكار للذات الإلٰهية.

ولكن ليس معنىٰ أنه مسلم أنه إمام المسلمين وشيخ الإسلام، فهو إنْ لَمْ يكن أفضل إيماناً من الكثيرين فيكفي أنه لا يخضع لمخلوق مطلقاً ولا يقبل حُكماً إلاّ لله وحده.

اسمعه يقول من قصيدة يرثي جدته لأمه:

تغَـــرَّبَ لا مُسْتَعْظِمـــاً غيـــرَ نَفْسِـــهِ ولا قـابـلاً إلاّ لخـالقـهِ حُكْمـا[3]

وقوله من قصيدة يمدح سيف الدولة بعد معركة عام ٣٤٥هـ:

ومهـــذَّب أمَـــرَ المنـــايـــا فيهـــمُ فـأطَعْنَـهُ فـي طـاعـةِ الـرحمٰـن[4]

وقوله من قصيدة يصف فرساً تأخر الكلأ عنه:

أيْ كَبْـتَ كُـلِّ حـاسِـدٍ مُنـافِـق أنْـتَ لنـا وَكُلُّنـا للخـالِـق[5]

وأبو الطيب من أفراد هذه الأمة الإسلامية، قرأ القرآن وآمن به وحفظ أجزاء كثيرة منه، لذلك فإن ثقافته إسلامية وليس غريباً أن تسمعه يكثر من ذكر الملائكة.

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ٣/ ٣٩١.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ١٨٣.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٨.

قال من قصيدة يمدح التنوخيين:

فـأُعيـذُ إخْـوَتَـه بِـرَبِّ محمـدٍ أنْ يحـزنـوا ومُحمَّـدٌ مسـرورُ[1]

أو يَـرغبـوا بقصـورِهـمْ عـن حُفْـرَةٍ حَيـّـاهُ فيهـا مُنْكَـرٌ ونَكيـرُ

وقوله من قصيدة يمدح عضد الدولة ووَلَدَيْهِ أبا الفوارس وأبا دلف:

مـلاعـب جنـة لـو سـار فيهـا سليمـان لسـار بتـرجمـان[2]

وقوله من قصيدة يمدح علي بن منصور الحاجب:

فَلَقَـدْ دَهِشْـتُ لِمـا فَعَلْـتِ ودونَـهُ ما يُدْهِشُ المَلَكَ الحفيظَ الكاتِبا[3]

ويعترف الشاعر بالأنبياء والكتب السماوية المنزلة عليهم:

مـا مقـامـي بـأرضِ نَخْلَـةَ إلاّ كمقـام المسيـح بَيْـنَ اليَهـودِ[4]

لأمَـةٌ فـاضـةٌ أضـاةٌ دِلاصٌ أحْكَمَـتْ نَسْجَهـا يـدا داودِ[5]

وقوله:

ولَـوْ رآهُ حـوارِيُّـوهُـمُ لَبَنَـوْا علىٰ مَحَبَته الشَّرْعَ الذي شَرَعوا[6]

وشاعرنا يؤمن بالموت، وأن مصير الإنسان إلىٰ زوال، فالحياة الدنيا دار زوال والحياة الآخرة دار قرار. اسمعه يقول من قصيدة يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي:

علىٰ ذا مضى الناسُ: اجتماعٌ وفُرْقَةٌ ومَيْـتٌ ومـولـودٌ، وقـالٍ ووامـقُ[7]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ٢/ ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٥٢.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣١٩.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٠.

(٦) المصدر نفسه جـ٢/ ٢٢٥.

(٧) المصدر نفسه جـ٢/ ٣٤٢.

وقوله من قصيدة يمدح أبا المنتصر: شجاع الأزدي:

والمـوتُ آتٍ والنفـوسُ نفـائِـسُ والمُسْتَغِـرّ بمـا لَـدَيْـهِ الأحْمَـقُ[1]

فأبو الطيب استشهد بالقرآن الكريم في شرحه لبعض المفردات التي أوردها في شعره.

لقد استوحىٰ الشاعر قصة نوح عليه السلام والطوفان في تصوير كرم ممدوحه مساور بن محمد الرومي اسمعه يقول:

لَوْ كُنْتَ بحراً لم يَكُنْ لكَ ساحِلٌ أوْ كُنْـتَ غَيْثـاً ضـاق عَنْـكَ اللُّـوَحُ
وخشيـتُ مِنْـكَ علىٰ البـلادِ وأهلِهـا مـا كـان أنْـذَرَ قَـوْمَ نُـوحٍ نُـوحُ[2]

فلقد شبه ممدوحه في البيت الأول بالغيث والبحر، وجعل المشبه يفوق المشبه به في العطاء إذ لا ساحل قد ضاق عنه القضاء، فكان خوف المتنبي علىٰ البلاد من الطوفان، وقد كان إنذار نوح لقومه هنا وليد السياق إذْ كنّىٰ به الشاعر عن الطوفان الذي ورد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١].

كما أن الشاعر كان علىٰ دراية في بعض الأحكام الفقهية. اسمعه يقول:

تعَجَّـلُ فـيَّ وُجـوبُ الحـدودِ وحـدّىٰ قَبْـل وُجُـوبِ السُّجـودِ[3]
فمـا لـك تَقْبـلُ زورَ الكـلام وقَـدْرُ الشَّهـادة قَـدْرُ الشُّهـودِ
فـلا تَسْمَعَـنَّ مـن الكـاشحيـنَ ولا تَعْبَـأَنَّ بمَحْـكِ اليَهـودِ
وكـن فـارقـاً بَيْـنَ دعـوىٰ أردْتُ ودعـوىٰ فَعَلْـتُ بِشـأْوٍ بعيـدِ[4]

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٢/ ٣٣٥.
(٢) المصدر نفسه جـ٢/ ٢٥٤.
(٣) المصدر نفسه جـ١/ ٣٤٦.
(٤) المصدر نفسه جـ١/ ٣٤٧.

وأبو الطيب بطلٌ من أبطال الجهاد، دعا إلىٰ توحيد الصفوف من أجل القضاء علىٰ العدو البيزنطي، وجاهد بنفسه حيث اشترك مع سيف الدولة في خوض المعارك، وجاهد بلسانه وذلك عن طريق الشعر الذي كان يلقيه أمام الجند لتحريضهم علىٰ الجهاد.

لقد كان المتنبي أعظم شاعر خلّد حروب المسلمين مع البيزنطيين فبذّ بذلك كل شاعر قبله، ولقد كان لكلماته دورها الفاعل في ذروات التحدي، وكان عاملاً أساسياً في تحريك الأمة نحو مواطن الأعداء وبيان مكامن الأخطار، لذلك كان يدعو إلىٰ الثورة من أجل التخلص من ربقة الأعداء ومن زمر المتخاذلين.

إن قصائد المتنبي الجهادية العديدة التي قالها خاصة في سيف الدولة تُلِحّ علىٰ الجهاد وعلىٰ الجانب الديني، فالمعارك بين معسكرين، معسكر الإيمان يقوده سيف الدولة وأنصاره، ومعسكر الكفر يقوده الدمستق وأنصاره، والصفة البارزة للمعسكر الأول أنه مسلم موحّد فيرضىٰ عنه لأنه حزبه، والصفة البارزة للمعسكر الثاني أنه كافر مشرك يؤمن بعقيدة التثليث: اسمعه يقول:

وقَدْ تَيَقَّنَ أنَّ الحقَّ في يَدِهِ ... وقَدْ وَثِقْنَ بأنَّ الله ناصِرُهُ[1]

وقوله من قصيدة يمدح سيف الدولة بمناسبة بناء مرعش:

هنيئاً لأهلِ الثَّغْر رأيُكَ فيهمُ ... وأنّكَ حزبُ اللهِ صِرْتَ لَهَمُ حِزبا[2]

لأمر أعدَّته الخلافةُ للعدا ... وسَمَّتْهُ دُونَ العالَمِ الصَّارِمِ العَضْبا[3]

فمن كان يرضي اللؤمَ والكفرَ مُلْكُهُ ... فهذا الّذي يُرضي المكارمَ والرَّبا[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ١/ ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه جـ١/ ٦٢.

(٣) المصدر نفسه جـ١/ ٦٨.

(٤) المصدر نفسه جـ١/ ٦٩.

وقوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

تحـاولُ نَفْـسَ مَلْـكِ الـرومِ فيهـا ... فَتَفْـديـه رعيَّتُـهُ العُلـوجُ[1]

أبـا الغمـراتِ تُـوعُـدنـا النَّصـارىٰ ... ونَحْـنُ نُجـومهـا وهـيَ البُـروجُ[2]

وفينـا السيـفُ حَمْلَتـهُ صَـدوقٌ ... إذا لاقـىٰ وغـارَتْـهُ لَجـوجُ

نُعـوذُهُ مِـنَ الأعيـان بَـأْسـاً ... ويَكْثُـرُ بـالـدعـاء لَـهُ الضجيـجُ

رضينـا والـدُّمُسْتُـقُ غيـرُ راضٍ ... بمـا حَكَـمَ القـواضِـبُ والـوشيـجُ

فـإنْ يُقْـدِمْ فَقَـدْ زُرْنـا سَمَنـدو ... وإن يُحْجِـمْ فمـوعـدُهُ الخليـجُ[3]

إن أبا الطيب من شعراء العروبة والإسلام الفرسان، يمثل شعره عامة وشعره الجهادي خاصة ميراثاً أدبياً خالداً، وآيات من الجمال والإبداع الفني، فشعره الجهادي يمثل ديواناً خاصاً مستقلاً يُعَدّ من روائع ما خلفه الشاعر، أراد خلاله جاهداً وبطريقته الخاصة وفق تفكيره أن يُصعِّد حركة الجهاد ضد الأعداء، ويُعمّق الاعتزاز والتعلق بالرابطة المبدئية، ونبذ كل شكل من أشكال الهوان والذل، والعبودية.

لقد تبوأ شاعرنا المكانة العليا بين شعراء العروبة والإسلام في التغني بالبطولة والأمجاد العربية متمثلة في بعض قادتها من أمثال المجاهد الأمير سيف الدولة.

لقد بلغ شعر المتنبي أوجه لدىٰ الحمدانيين، لأنه كان يجد هناك إطاراً ومُناخاً يرفعان صوت الشعر العربي الإسلامي.

فالقتال ضِدّ العدو البيزنطي هو الذي يمنح دون ريب المتنبي وشعره نفساً لم يعرف شعر الحرب مثل غنائيته، وإن الإنسان ليعشق هذا اللون من الشعر الجهادي لأنه ضدّ الخنوع والهوان.

---

(١) ديوان المتنبي شرح العكبري: جـ١ ص٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه ص٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٢٤٠.

إنّ شاعرنا لم يكن داعية حرب من أجل الحرب وإنما كان فارساً مجاهداً ينادي بالقوة لردع الأعداء من الداخل (الأعاجم والقبائل العربية المتمردة) ومن الخارج (الروم البيزنطيين) لذلك كان شعر الجهاد عند الشاعر وسيلة لا غاية، وسيلة المثل العليا، ولذلك إذا ما أردنا أن ننشىء شباب العرب والإسلام علىٰ الأخلاق والقيم الصحيحة التي تسمو بهم عن الدنايا فما علينا إلاّ أنْ نقدم لهم شعر الجهاد عند أبي الطيب.

إن أشعاره في الجهاد تعكس بوضوح روح الجهاد في أنبل مظاهرها وأنزهها فإن الشاعر لا يشيد فقط بالمجاهد الذي يمضي قدماً فرحاً باستشهاده وتضحيته لمثله الأعلىٰ الذي يعدّ الموت هو الحياة الحقة، ولكنه يتغنّىٰ أيضاً بالقضاء علىٰ الأعداء يقول:

وفوارس يحيىٰ الحمام نفوسها ... فكأنها ليست من الحيوان[1]

وقوله:

فخاضت نجيعَ الجَمعِ خوضاً كأنَّهُ ... بكل نجيعٍ لم تخضعه كفيل[2]

وقوله:

وربوا لك الأولادَ حتىٰ تصيبها ... وقد كَعِبَت بنت وَشبَّ غلام[3]

وقوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي قاده من غزو خرشنة:

حتىٰ أقامَ علىٰ أرباضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشْقىٰ بها الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ

للسَّبْيِ ما نَكَحُوا، والقَتْلِ ما وَلَدُوا ... والنَّهْبِ ما جَمَعُوا، والنَّارِ ما زَرَعُوا

مُخْلىً له المَرْجُ مَنْصُوباً بصَارِخَةٍ ... لهُ المنابرُ مَشْهوداً بها الجُمَعُ[4]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ٤/ ١٨١.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ١٠١.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٣٩٨.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٤-٢٢٥.

وقال:

فلم يَبْقَ إلاّ مَنْ حَمَاها مِنَ الظُّبا لمىٰ شَفَتَيْها والثُّدِيُّ النَّواهِدُ

تُبَكِّي عليهِنَّ البطاريقُ في الدُّجىٰ وهُنَّ لدينا مُلْقَياتٌ كَواسِدُ[1]

والشاعر يرىٰ الروم أعداء، ولذلك فهم دائماً مهزومون:

وقَدْ عَلِمَ الرُّوم الشّقيّون أنّنا إذا ما تَرَكْنا أرْضَهُمُ خَلْفَنا عُدْنا[2]

وقوله:

وفي صُورةِ الرُّوميِّ ذي التاج ذِلَّةٌ لأبْلَجَ لا تيجانَ إلا عَمائمُه[3]

وأرىٰ أن الحروب التي قامت بين المسلمين كانت بداية للحروب الصليبية والدليل علىٰ ذلك أن (نقفور فوكاس) الذي كان ندا لسيف الدولة كان يحشد في مقدمة جيشه البطارقة والقس ويأمر الجنود بحمل الصُّلبان الكبيرة حتىٰ يعطي الحرب صفة دينية مقدسة، وذلك كلما خرج لحرب الحمدانيّين، وكانت جيوشه من طبقات النصارىٰ المختلفة الأجناس من روم وروس ويلغار وصقلب وأرمن وخزر: اسمعه يقول من قصيدة بعد انتهاء معركة الحدث:

أتَوْكَ يَجُرّون الحديدَ كأنَّهُمْ سَرَوْا بجيادٍ ما لَهُنَّ قَوائمُ[4]

إذا بَرقوا لم تعرفِ البيضُ منهمُ ثيابُهُمُ مِنْ مثلِها والعمائِمُ

خميسٍ بشرقِ الأرضِ والغربِ زَحْفُه وفي أُذُنِ الجَوْزاءِ منه زمازِمُ

تجمَّعَ فيه كلُ لِسْنٍ وأمَّةٍ فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلاّ التراجِمُ[5]

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ١/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٣٣٥.

(٤) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٤.

(٥) المصدر نفسه جـ٣ ص٣٨٥.

فأبو الطَّيِّب هو أول من وصف هذه الحروب مع البيزنطيين بأنها ليست حروباً خاصة بين ملك الروم والمسلمين ولكنها حرب بين المسلمين والشرك:

ولَسْتَ مليكاً هازِماً لنظيرِهِ ولكنَّكَ التوحيدُ للشركِ هازِمُ[1]

لقد كان أبو الطَّيِّب شخصية إسلامية فَذّة في شعره حيث كان يدعو لتكوين دولة عربية إسلامية علىٰ أسس سليمة ولو نجح في تكوين هذه الدولة لكان ذلك من الخير للعرب والإسلام.

إن الرجل كان قوة هائلة لا تقف عند حدّ ولا ترجع عن قصد، فكان ينفخ في جسم الدولة المتهالك ويهيب بالأمة إلىٰ حياة المجد والعظمة فما يكون أقرب منها إلىٰ الاستجابة. اسمعه يقول:

لا افتخارٌ إلاّ لِمَنْ لا يُضامُ مُدْرِكٍ أوْ محارِبٍ لا يَنامُ[2]

واحتمالُ الأذىٰ ورؤيةُ جانيهِ غذاءٌ تضْوىٰ به الأجسامُ[3]

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ علَيهِ ما لِجُرْحٍ بمَيِّتٍ إيلامُ[4]

من هذا كله نتبين أن شاعرنا كان شخصيّة إسلامية فَذَّة وفي شعره ملامح إسلامية.

منهج البحث:

لقد سلكتُ في هذا البحث منهجاً قائماً علىٰ مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول:

لقد كان الفصل الأول عن:

---

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ٣ ص٣٩١.

(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص٩٢.

(٣) المصدر نفسه جـ٤ ص٩٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٤ ص٩٤.

أ ـ الصراع بين المسلمين والروم في القرن الرابع الهجري.

ب ـ دور الدولة الحمدانية في هذا العصر وخاصة علىٰ يد سيف الدولة.

الفصل الثاني:

خصصت الفصل الثاني لـ:

أ ـ ثقافة المتنبي العربية الإسلامية وتعرضت إلىٰ نشأته العلمية وشيوخه والبيئات التي عاش فيها وإلىٰ ثقافته اللغوية والأدبية والدينية والفلسفية والتاريخية.

ب ـ عالجت في هذا الفصل موقف المتنبي من التنبؤ والقرامطة.

جـ ـ تحدثت عن كيفية وصول أبي الطيب إلىٰ بلاط سيف الدولة.

الفصل الثالث:

وتناولت فيه الملامح الإسلامية في شعر أبي الطيب وتبرز هذه المواضيع التالية:

أ ـ عقيدة المتنبي:

١ ـ إيمان المتنبي بالله الخالق.

٢ ـ إيمان المتنبي بالملائكة.

٣ ـ إيمان المتنبي بالأنبياء والكتب السماوية.

٤ ـ إيمان المتنبي بالبعث.

ب ـ استشهاد المتنبي بالقرآن الكريم في شرحه لبعض المفردات التي أوردها في شعره وتأثره بالفقه والتصوف.

جـ ـ الرابطة الدينية عند المتنبي.

د ـ شعر الجهاد: المعارك التي خاضها مع سيف الدولة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة إلىٰ سنة ست وأربعين وثلاثمائة للهجرة.

هـ ـ هل الحروب التي قامت بين الدولة الحمدانية والبيزنطية كانت حروباً صليبية؟

و ـ الخاتمة.

obeikandl.com

وقد رجعت في هذا البحث إلىٰ المراجع العربية القديمة والحديثة التي تتعلق بالموضوع مع بعض آراء المستشرقين ودراسة شعر الشاعر من خلال ديوانه.

وأخيراً ليس لي إلاّ التماس العذر ممن يجدون هنات هنا، وهنات هناك وعذري في ذلك أن أعترف أمام هؤلاء بأنني لا أدّعي الإحاطة بأطراف هذا البحث والإتيان بخارق فيه. بل حسبي أنني أخلصت الوفاء وأنا أعمل من أجل بيان ميزة هذا الشاعر.

وحسبي أن أنوّه بفضل أستاذي العالم الجليل الأستاذ الدكتور سيد حنفي حسنين وكيل كلية الآداب للأبحاث والدراسات العليا في جامعة القاهرة، وأستاذ الأدب العربي القديم المشرف علىٰ هذا البحث الذي كان لإرشاده وتوجيهه اليد الطولىٰ والفضل العميم في إتمام هذا البحث علىٰ هذه الصورة التي خرج إليها جزاه الله عني خير جزاء.

كما أنني أشكر عضوي لجنة المناقشة العالمين الجليلين:

الأستاذ الدكتور يوسف خليف، أستاذ الأدب القديم في جامعة القاهرة.

والأستاذ الدكتور طه عمران وادى، أستاذ الأدب الحديث في جامعة القاهرة.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الباحث

فتحي أسعد نعجة

obeikandl.com